# جدلية الصوت والصمت
# قراءة في فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبونتي

**الأستاذ محمد بن سباع**
**جامعة منتوري -قسنطينة**

**ملخص:**

إن ما يميز الفلسفة المعاصرة هو أن الإنسان أصبح يمثل أكبر إشكال بالنسبة إلى نفسه، وبما أن اللغة هي أهم ما يختص به الإنسان، فإننا نجد بأن فينومينولوجيا الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلوبونتي Merleau-Ponty تعبر عن هاجس البحث في اللغة بحيث تسعى من خلال ذلك إلى حل كثير من المشكلات التي تتعلق بهذا الميدان والتي منها اللغة والفكر، المعنى والدلالة، الصمت والصوت، أي مختلف أشكال التعبير سواء كانت تعبيرا بالكلمة أو تعبيرا بالفن. لذلك تؤكد فينومينولوجيا ميرلوبونتي على ضرورة العودة إلى الذات المتكلمة لأن الكلام هو أهم المظاهر التي تعبر عن الوجود في العالم، وهذا ما يمثل تحولا مهما في البحث اللغوي المعاصر لأنه فتح مجالا للدراسة كان مغيبا، خصوصا عندما نعرف أن الدراسة العلمية أو ما يسمى باللسانيات، أخذت الاهتمام الأكبر من قبل الفلاسفة وعلماء اللغة المعاصرين. وعليه يسعى ميرلوبونتي إلى أن يتخذ من أقوال الذات المتكلمة موضوعا للدراسة ليصف ما يصل إليه وهو يبحث في الكلمات بواسطة الكلمات.

**مقدمة:** تتناول هذه الدراسة ما سميناه بفينومنولوجيا الكلام عن ميرلوبونتي لأن الموضوع الرئيس الذي تختص بدراسته هو كلمات الذات وأقوالها وليس اللغة منظورا إليها على أنها نظام من العلامات اللغوية كما تؤكد على ذلك اللسانيات عند دي سوسير Saussure، فيقدم لنا ميرلوبونتي بالتالي تصورا جديدا حول بعض المشكلات اللغوية التقليدية والتي أهمها علاقة اللغة بالفكر والصوت بالصمت، ليبين لنا أن المعنى الذي يحمله الصمت أبلغ من المعنى الذي يحمله الصوت وهنا بالتحديد يتميز عن غيره من الفلاسفة المعاصرين لأنه ينظر إلى الفن خصوصا في ميدان الرسم على أنه أسلوب تعبيري إبداعي .

## 1- العودة إلى الذات المتكلمة:

إذا كان الموقف الفلسفي لا يتأسس من فراغ، فإن هذا بالضبط ما ينطبق على فينومينولوجيا الكلام لدى ميرلوبونتي لأنه استلهم الكثير من الأفكار والمفاهيم سواء من مؤسس الفينومينولوجيا إدموند هوسرل أم من مؤسس علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسير، إلا أنه تمكن من تجاوز الكثير من المفاهيم الهوسرلية ودخل في حوار مع اللسانيات، وهذا ما مكنه من بناء موقف جديد خاص به جعله ينحت مصطلحات جديدة تشترك في قاسم واحد ألا وهو العودة إلى الكلام أو ما سميناه بفينومينولوجيا الكلام وهي لا تقل أهمية عن الجانب العلمي في دراسة اللغة الذي تمثله اللسانيات على وجه الخصوص والتي أخذت اهتماما كبيرا من قبل كل علماء اللغة المعاصرين عكس المنظور الفينومينولوجي في دراسة اللغة ليس فقط عند ميرلوبونتي وإنما كذلك عند هوسرل Husserl وهيدغر Heidegger، هذا المنظور الذي لم يأخذ نصيبه من الدراسة.

لقد ظهرت اللسانيات في أوائل القرن العشرين على يد اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير فكانت بمثابة نقطة تحول بارزة في ميدان الدراسات الآنية أو الوصفية وذلك كنتيجة للتطورات العلمية الحاصلة في ميدان العلوم التجريبية، فأراد دي سوسير أن يجعل من اللغة موضوعا مستقلا قائما في حد ذاته، من خلال النظر إلى اللغة على أنها ظاهرة مستقلة عن غيرها من الظواهر الأخرى وهذا ما أدى به إلى القول بفكرة "نظامية اللغة" أي أن اللغة نظام من العلامات اللغوية التي تربط بينها علاقات داخلية، وهنا يتضح الموضوع الذي يختص الألسني بدراسته حيث يقول دي سوسير: "إن قسمي اللسانيات يحددان على التوالي موضوع دراستنا فلدينا أولا اللسانيات الآنية Linguistique Synchronique وهي تشمل العلاقات المنطقية والنفسية التي تربط بين ألفاظ النظام اللغوي والتي يجمع بينها نفس الوعي الجماعي وهناك اللسانيات التاريخية Linguistique Diachronique وهي تدرس على العكس من ذلك العلاقات القائمة بين الألفاظ التي لا يجمع بينها نفس الوعي الجماعي، فهي موجودة دون أن تشكل فيما بينها نظاما"[1] وهذا النظام هو ما يسميه دي سوسير باللسان لأن اللغة تنقسم إلى جانبين يسمى الأول باللسان La langue ويمثل الجانب الاجتماعي في اللغة أما الثاني فهو الكلام Le parole وهو الجانب الفردي منها، ويتخذ دي سوسير من اللسان موضوعا للدراسة العلمية ويخرج الكلام من هذا الموضوع وذلك لأنه يرتبط بالذات المتكلمة، وهنا بالتحديد تكمن نقطة الاختلاف الجوهرية بين دي سوسير وميرلوبونتي.

[1]- Ferdinand de Saussure: Cours de Linguistique Général, Payot, Paris, 1972, p 140.

ترفض فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبونتي هذا الفصل الكلي بين الجانبين التزامني والتعاقبي أو الآني والتاريخي، بحجة أن ماضي اللغة كان في لحظة معينة حاضرها، فحتى لو كانت اللغة نظاماً ثابتاً من العلامات فإن هذا النظام لا يمكن دراسته بمعزل عن تاريخه وبالتحديد عن الذات التي تتكلم، وهنا يؤكد لنا ميرلوبونتي: "أن اللغة لا توجد في اللحظة التي تؤدي فيها وظيفة معينة أو هي مجرد نتيجة بسيطة لماضي موجود خلفها، بل إن هذا التاريخ هو الأثر المرئي لسلطة لا يمكن تجاوزها"[1] وهي سلطة تفرض علينا التوجه إلى الاهتمام بالكلام الذي أهملته اللسانيات المعاصرة وهنا يؤكد باسكال ديبوند Pascal Dupond أنه على الرغم من تأثر ميرلوبونتي بكثير من المبادئ الذي وضعها دي سوسير فإنه يرفض بعضها خصوصا ما تعلق منها بموضوع الدراسة وهنا يقول: "إن تاريخ اللغة هو الذي يحدد الكيفية التي تكون عليها فكرة اللغة كلسان كما أنه هو الذي يحدد مميزاتها النظامية"[2] لذا فإن ما تؤكد عليه فينومينولوجيا الكلام هو التقاطع والمعكوسية بين التزامن والتعاقب، فلا يمكننا أن ننظر إلى جانب دون آخر فتصبح العلاقة بين الكلام واللسان كالعلاقة بين النفس والجسد.

يعيب ميرلوبونتي على اللسانيات نظرتها إلى اللغة على أنها لسان أو نظام ثابت من العلامات لأن هذه النظرة تتجاهل القدرات والإمكانات الموجودة في الكلام الصادر عن الذات المتكلمة كما أنه من المسائل التي تختص فينومينولوجيا الكلام بدراستها هي الكلام باعتباره تخاطبا بين الذوات المتكلمة، فإذا كانت لسانيات دي سوسير تدرس اللسان في بنيته الداخلية على اعتبار أنه علاقة بين علامات أو بين دوال ومدلولات فإن ما تهتم فينومينولوجيا الكلام بدراسته هو الكلام كملكية للذات

---

[1]- Merleau-Ponty: La Prose du Monde, édition Gallimard, Paris, 1969, p 32.
[2]- Pascal Dupond: Dictionnaire Merleau-Ponty, édition ellipses, Paris, 2008.p 68.

المتكلمة ونبرة الصوت وكيفية ترتيب أقوال الذات، وضد تمييز دي سوسير بين اللسانيات والكلام يؤكد إيتيان بانبونيه Etienne Binbenet بأن فينومينولوجيا ميرلوبونتي تبين لنا أن اللسان محاط بالكلام وأن الكلام بدوره يعتمد على القدرة التعبيرية التي يوفرها اللسان[1].

تعبر فينومينولوجيا الكلام عن ذلك الجهد في تحويل البحث اللغوي من اللسان إلى الكلام لذا فقد سعى ميرلوبونتي إلى تكوين فكرة لغة ممكنة تتشكل بالاعتماد على ما يسميه باللغة الراهنة أو الحالية Langage Actuel التي هي لغة الذات المتكلمة ويحدد ميرلوبونتي دور اللسانيات في كونها وسيلة منهجية غير مباشرة تجعلنا نوضح من خلال وقائع اللغة الأخرى هذا الكلام الذي يتلفظ داخلنا والذي نحن متصلين به من خلال رابط سري حتى في أثناء عملنا العلمي[2]، وهذا ما يبين لنا أن فينومينولوجيا الكلام تسعى من خلال العودة إلى كلام الذات المتكلمة إلى الاحتكاك باللغة العادية المستعملة التي هي أفعال لغوية تحمل معنى قصدي وجهته العالم وهذا يوضح لنا أكثر طبيعة اللغة ودور الذات المتكلمة في تحديد هذه الطبيعة، وهو ما يحسب لصالح فينومينولوجيا ميرلوبونتي مقابل الدراسة العلمية للغة: "فمن وجهة نظر فينومينولوجية أي بالنسبة إلى الذات المتكلمة التي تستعمل اللغة كوسيلة للتواصل، فإن اللغة تعثر على وحدتها: فلا تكون نتيجة لماضي فوضوي لأحداث ألسنية مستقلة، وإنما كنظام تلتقي جميع عناصره في جهد تعبيري خاص يتجه نحو الحاضر أو المستقبل[3] وإذا أردنا أن نتعرف على طبيعة اللغة فليس علينا فقط أن ندرس حاضرها الذي هو نتيجة لتراكمات الماضي أي اللغة

---

[1]- Etienne Binbenet: Nature et Humanité, Le Problème Anthropologique Dans L'œuvre De Merleau-Ponty, Librairie Philosophique, Paris, 2004, p 228.
[2]- Merleau-Ponty: La Prose du Monde, Op.cit, p 23.
[3]- Merleau-Ponty: Signes, édition Gallimard, Paris, 1960, p 107.

كوجود مستقل عن الذات وإنما علينا التوجه إلى أقوال الذات وكلماتها التي لا تحمل معناها في ذاتها وإنما قد يكون مؤجلا بل حتى أن الذات أحيانا لا تفهم معنى كلماتها إلا أثناء أو حتى بعد أن تتكلم .

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن هناك قاسم مشترك بين هيدغر وميرلوبونتي ألا وهو العودة إلى الكلام كموضوع للدراسة لكن ما يشكل اختلافا واضحا بينهما هو أن هيدغر يفصل الكلام عن الذات في حين ينظر ميرلوبوني إليه في ارتباطه بالذات المتكلمة وحتى ولو أن هيدغر ربط الكلام بالوجود في العالم إلا أنه يفتقد إلى تلك اللحمة التي تؤكد عليها فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبونتي لأننا كما يقول: "نحيا في عالم يكون الكلام فيه هو المؤسس[1] كما أن "الكلام هو مركبتنا للتوجه إلى الحقيقة مثلما أن الجسد هو مركبة الكائن في العالم"[2] فتكون العودة إلى الكلام هي عودة إلى الإدراك وإلى الخبرة وإلى التاريخ، فتصبح الفلسفة كلاما والكلام فلسفة، والكلام هنا ليس هو الألفاظ فقط وإنما هو اللحمة التي تجمع بين الوعي والكلمة والجسد والتاريخ والعالم، لذلك لا يمكننا أن نشبه الكلام بفكرة المثال عند أفلاطون ولا بفكرة المطلق عند هيغل ولا حتى الوجود عند هيدغر وإنما هو فلسفة جديدة هو عودة إلى الذات المتكلمة الموجودة في العالم وهو عودة إلى: "لغة ما قبل اللغة"[3].

**2- اللغة والفكر:**

تعبر أغلب مؤلفات ميرلوبونتي خصوصا منها المتأخرة عن ذلك الهاجس الذي أصبح يطبع اهتماماته والذي هو اللغة، فقد سعى إلى حل بعض المسائل العالقة مستفيدا

---

[1]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, édition Gallimard, Paris, 1954 p 214.
[2]- Merleau-Ponty: La Prose du Monde, Op.cit, p 181.
[3]- Ibid. p 22.

في الوقت نفسه من بعض المفاهيم والحقائق العلمية المعاصرة، وتعتبر مسألة علاقة اللغة بالفكر من أهم هذه المسائل، فبالنسبة إلى المواقف التقليدية السابقة فإنها تنقسم إلى موقفين يقول الأول بأولوية الفكر على اللغة أما الثاني فيؤكد على أسبقية اللغة على الفكر والقاسم المشترك بين هذين الموقفين هو الفصل التام بين اللغة والفكر لأنهما كيانين مستقلين ومختلفين، وهذا بالتحديد ما ترفضه فينومينولوجيا ميرلوبونتي وتحاول تجاوزه، فكيف تنظر إلى العلاقة القائمة بين اللغة والفكر؟ وما هو الجديد الذي يحمله هذا الموقف؟

لا يمكننا الحديث عن التمييز بين اللغة والفكر دون الرجوع إلى تلك القسمة التي أقامها ديكارت بين النفس والجسد، فيقول: "وهكذا يتبين لنا أن معظم الأخطاء التي نقع فيها في السنوات الأولى من حياتنا ترجع إلى أن النفس محصورة في ارتباطها بالجسد"[1] ومادامت اللغة من طبيعة الجسد والفكر من طبيعة النفس كانت العلاقة بينهما هي علاقة انفصال وأن الأسبقية للفكر على اللغة مثلما هي للنفس على الجسد ولا ينظر إلى اللغة هنا إلا على أنها وجود خارجي للأفكار ومجرد وسيلة للتعبير عنها، فيكون وجود المعاني وجودا مستقلا عن الكلمات ومتميزا عنها من ناحية الطبيعة ومن ناحية الوظيفة أيضا، وإننا نجد أن هذا التمييز قد ساد لمدة زمنية طويلة رافقه اختلاف بين الفلاسفة والمذاهب فالمذهب العقلاني يعطي الأولوية للفكر على اللغة أما المذهب التجريبي فعلى العكس من ذلك يؤكد على أسبقية اللغة على الفكر.

يكمن خطأ هذا التصور التقليدي في أنه لم ينظر إلى اللغة والفكر في مجموعهما، فالمعنى يوجد داخل الكلمات كما أن الكلام هو الوجود الخارجي لهذه المعاني، لأن

[1]- René Descartes: Les principes de la philosophie, Librairie Hatier, Paris, p 64.

الأفكار والكلمات شيء واحد وتكون العملية التعبيرية هي نتاج هذا التكامل القائم بينهما فكما يقول ميرلوبونتي: "إن الفكر والتعبير يوجدان معا فتعمل الخبرة الثقافية على خدمة هذا القانون المجهول، مثلما يستعد جسدنا فجأة لحركة جديدة في خبرتنا المعتادة"[1] لأن الكلمة ليس وجودا خارجيا للفكرة وإنما هي وجود مكمل لوجود الفكرة فهناك قصدية متبادلة بينهما وهذا البعد الجديد في العلاقة بين الفكر واللغة هو تجاوز للموقف التقليدي الذي يفصل بينهما وكذلك تجاوز للموقف العلمي الذي ينظر إلى اللغة على أنها مجرد وسيلة للتعبير عن الفكر، لذا إذا أردنا التعرف على كيفية ارتباط الأفكار بالكلمات ما علينا إلا أن نتوجه إلى خبرتنا الإدراكية بالتجربة التعبيرية التي هي موطن تلاحم الكلمات مع الأفكار.

وبالعودة إلى موقف مؤسس الفينومينولوجيا ادموند هوسرل نجد أنه توجه إلى الاهتمام بالبحث في ماهية اللغة، أي في علاقتها بالوعي أو الأنا المتعالي، لذلك فهو في أبحاثه اللغوية وخصوصا في كتاب "بحوث منطقية" ينظر إلى كلام الذات أو ما يسميه بالتعبير Expression على أنه مرتبط بالوعي ويصرح بذلك قائلا: "يكون التعبير في علاقة ثابتة بالمعنى من خلال الفكر الذي يحمل المعاني وبالتالي فهو يعمل بطريقته الخاصة على تشكيل التعبير كما يريد"[2] ولا ينكر ميرلوبونتي علاقة التعبير بالفكر لكنه يتحفظ على أولوية الفكر خصوصا في ارتباطه بالوعي الخالص لأننا نتجاوز وجود "الكلمات التي هي "قلعة الفكر" والفكر لا يبحث عن التعبير إلا لأن الكلمات تفهم من خلاله"[3] كما يضيف قائلا: "إن الفكر والكلام كلاهما يكمل الآخر وكلاهما يقيم

---

[1]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p 209.
[2]- Edmund Husserl: Recherches Logiques, Recherches pour la phénoménologie et la théorie de la connaissance, Presse Universitaire De France, 1961, p 99.
[3]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p 213.

في الآخر على الدوام، إنهما يسندان وينعشان بعضهما البعض، فكل فكر يتجه إلى الكلام ويرجع إليه، كما أن الكلام يحيا في الأفكار وينتهي فيها"[1].

وبناء على ما سبق ذكره يتضح لنا أن موقف هوسرل من علاقة اللغة بالفكر يندرج في إطار مبحث المعرفة لأن الأفعال اللغوية ترجع إلى الأنا المتعالي المؤسس لهذه الأفعال ذات الطابع الخالص، أما موقف ميرلوبونتي من هذه المسألة فيتجاوز فلسفة الوعي هذه ويتجه إلى اللغة الفعلية التي هي لغة الوجود في العالم والتي يكون فيها الفكر متكلما والكلام مفكرا لذا يقول في "نثر العالم": "لا يجب أن نفهم بأن اللغة عائق أمام الفكر لأنه ليس هناك فرق بين فعل الاتصال به أو التعبير عنه"[2] وهذا بمثابة تحول من البحث في الفكر إلى البحث في التداخل والتكامل الموجود بين الفكر واللغة في فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبونتي.

تعرفنا من قبل كيف ينظر مؤسس اللسانيات إلى اللغة على أنها نظام من العلامات حيث يكون لكل علامة لغوية معنى خاص تعبر عنه وهذا ما يحدد موقفه من علاقة اللغة بالفكر فيقول: "يمكن تشبيه اللغة بالورقة: الفكر وجهها والصوت قفاها فلا يمكن أن نقطع الوجه دون أن نقطع في الوقت نفسه القفا، كذلك بالنسبة إلى اللسان لا يمكن عزل الصوت عن الفكر ولا الفكر عن الصوت"[3] وما هو ملاحظ أن هناك تقاربا بين موقف كل من دي سوسير وميرلوبوتني من علاقة اللغة بالفكر لكن هذا الموقف يحتوي على عكس ما هو ظاهر كثيراً من جوانب الاختلاف. وقد يكون من نافلة القول أن نقول بأن موقف دي سوسير يندرج في إطار علمي يتخذ من اللغة

---

[1]- Ibid. p 212.
[2]- Merleau-Ponty: La Prose du Monde, Op.cit, p 26.
[3]- Ferdinand de Saussure: cours de linguistique général, Op.cit, p 157.

موضوعا مستقلا أما موقف ميرلوبونتي فيندرج في إطار فينومينولوجي يعمل على وصف خبرة التكلم إلا أن الفرق الجوهري بينهما هو أن الأول يرى أن اللغة هي وجود خارجي للفكر أما الثاني فيؤكد من ناحية أخرى على أن: "الكلمة أو الكلام هو طريقة للتعبير عن موضوع أو فكر من اجل استحضار هذه الفكرة في العالم الحسي ولا يكون الكلام مجرد غلاف للفكر وإنما هو رمزه أو جسده"[1] لأننا نفكر بالكلمات ونتكلم بالأفكار والكلمة بالنسبة إلى الفكرة كالحركة بالنسبة إلى الجسد وهذا ما يؤيده سارتر بقوله: "ليس هناك إرادة بلا فعل مثلما ليس هناك فكر بلا لغة"[2]

ارتبط موقف ميرلوبونتي من علاقة اللغة بالفكر بجهاز مفاهيمي خاص فقد وضع بعض المصطلحات الخاصة التي تدل على التداخل الموجود بين الأفكار والكلمات وهنا يقول: "إن العمليات التعبيرية تتم عبر الكلام المفكر Parole pensante والفكر المتكلم Pensée Parlante، وليس كما نقول عبثا بين الفكر واللغة، فليس لأنهما متوازيان نحن نتكلم بل لأننا نتكلم فهما متوازيان"[3] فعندما نفكر نحن نتكلم بصوت خافت وعندما نتكلم نحن نفكر بصوت عال. لذلك فمن الخطأ أن نتحدث عن علاقة أولوية بين الفكر واللغة لأن الفكر هو الوجود الصامت للكلمات والكلام هو الوجود الناطق للأفكار ويعبر ميرلوبونتي عن هذه العلاقة أيضا بمقولة الكلام الفاعل Parole Opérante أو اللغة المؤسسة Langage Opérante لذلك نلاحظ اهتمام ميرلوبونتي باللغة الأدبية لأنها تظهر بوضوح هذه العلاقة إذ يقول: "إن وظيفة الروائي لا تكمن

---

[1]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p 212.
[2]-Sartre: Les Carnets de la Drôle de guerre, édition Gallimard, Paris, 1983.
[3]- Merleau-Ponty: Signes, Op.cit, p 26.

فقط في تقديم الأفكار وإنما محاولة جعلها توجد أمامنا بنفس طريقة وجود الأشياء"[1] لتشبه علاقة الفكر باللغة علاقة الوعي بالجسد والجسد بالعالم.

إن اللغة التي هي فكر وكلام في الوقت نفسه هي لغة الخبرة المعاشة وهي تتميز من ناحية المعنى عن اللغة في لحظة زمنية معينة لأن تاريخ اللغة هو التاريخ حيث تكون اللغة هي من تتكلم وهنا نميز بين لغة الخبرة واللغة أثناء الكلام أو ما يسمى باللغة المتكلمة Langage parlant واللغة المتكلمة Langage Parlé ومثال ذلك فإنه في أثناء قراءتنا لكتاب في الفلسفة مثلا تكون لدينا لغة الخبرة المكتسبة التي نعتمد عليها في قراءة الكتاب وهي اللغة المتكلمة أما المعنى الذي يظهر أثناء القراءة فهو اللغة المتكلمة وفي هذا يقول سارتر: "إن الشاعر يكون خارج اللغة لأنه يرى الكلمات بوجه مغاير وكأنه غير مرتبط بالشرط الإنساني. فينظر إلى الكلام على أنه عائق"[2] ولا يعني هذا أن هناك نوعين من اللغة بل هما مظهرين للغة واحدة فقط.

وهنا يؤكد شاركوسات Charcosset أن ثنائية الفكر المتكلم والكلام المفكر التي يتحدث عنها ميرلوبونتي تحل مكان الحاضر والماضي كما تعوض من الناحية الفلسفية ثنائية الفعال وغير الفعال ويبين أن علاقة الفكر والكلام عند ميرلوبونتي تشبه كثيرا العلاقة بين الكلام والثرثرة عند هيدغر Parole et Bavardage أي بين الكلام الصحيح والكلام الخاطئ[3] وهكذا يصل ميرلوبونتي إلى الجمع بين التعاقبي والتزامني وبين الكلام والفكر في لغة جديدة يقول عنها: "إنها اللغة الفاعلة التي لا تحتاج لكي تترجم إلى معانٍ وأفكار إنها اللغة الشيء التي تكون بمثابة سلاح وبمثابة فعل، بمثابة قدح

---

[1]- Merleau-Ponty: Sens et Non sens, édition Gallimard, Paris, 1966, p 45.
[2]- Sartre: Qu'est-ce que la littérature ? Édition Gallimard, Paris, 1948, p 20.
[3]- Jean pierre-charcosset: Merleau-Ponty, approches phénoménologique, édition Payot, Paris 1983, p 29.

أو بمثابة إغراء إنها تساوي بين كل العلاقات العميقة للخبرة المعاشة فهي لغة الحياة والفعل وأيضا لغة الأدب والشعر أي أنها لوغوس Logos لموضوع مطلق وشامل إنها موضوع الفلسفة"[1] لأن اليونان القدماء كانوا يستخدمون مصطلح اللوغوس للدلالة على العقل وعلى اللغة معا. وبالتالي فقد أدرك ميرلوبونتي قيمة وأهمية اللغة التي أصبحت الموضوع الرئيس في فلسفته المتأخرة لذا فإنه من شأن البعد الجديد في العلاقة بين الفكر واللغة أن يكون إسهاما كبيرا في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة.

**3- بلاغة الصمت:**

تتبع فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبوتي ظهور المعنى وتحاول وصفه في ارتباطه بحضور الكلمات أو غيابها وذلك لأن غياب الصوت ليس بالضرورة هو غياب للمعنى وهنا يمكننا الحديث عن جانب خفي في اللغة يمكن أن نسميه لغة الصمت التي حتى ولو كانت غيابا للكلمات إلا أنها مقابل ذلك حضور للأشياء والعالم بل وللوجود فكيف يكون هدف فينومينولوجيا ميرلوبونتي هو الكشف عن معنى الوجود في الصمت؟

إن المتتبع لتطور فكر ميرلوبونتي الذي تعبر عنه مؤلفاته يلاحظ أنه يعبر عن الاهتمام بالبحث عن المعنى في مختلف أشكال التعبير سواء كانت مرئية أو لا مرئية كالتي ترتبط بالكلمات أو الجسد أو الإدراك أو التاريخ أو حتى الأشياء بل وحتى الفن وهذا ما سنتعرف عليه لاحقا وإن كل هذا الجهد الذي تعبر عنه فلسفة ميرلوبونتي بهدف بلوغ المعنى يدخل في إطار انجاز تلك المهمة التي دعي إليها مؤسس الفينومينولوجيا عندما يقول: "إن التجربة الصامتة هي التي يجب أن نعمل على التعبير

[1]- Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, édition Gallimard, Paris, 1964, p 168.

عن معناها الخاص"[1] فكيف ينظر ميرلوبونتي إلى هذه التجربة؟ وبالتالي كيف سيعمل على التعبير عنها؟

إذا كان اللامرئي ليس عدما كما تبين لنا ذلك فينومينولوجيا ميرلوبونتي فإن الصمت كذلك لا يعتبر نقيضا للكلام وهنا يقول ميرلوبوتي: "الصمت هو غياب الكلام الذي ينبغي قوله"[2] أي أنه ليس فراغ بل امتلاء من المعنى لا يزال مسجونا وعلينا فك قيوده وتحريره، وإذا كانت التجربة الأصلية التي تحدث عنها هوسرل تعبر عن تلك الخبرة الخالصة التي تحمل ماهيات الظواهر، فإن ميرلوبونتي ينظر إليها على أنها تجربة الوجود في العالم. أي تلك التجربة التي تحمل المعنى الصامت والحقيقي للوجود، وهذا المعنى لا يحيلنا إلى الأنا العارف المتعالي الذي يصنع العالم ويجعل منه مجرد موضوعات مثالية مفكر فيها وإنما يحيلنا إلى الوجود الواقعي والفعلي في العالم ومادامت لغة الصمت هي لغة الوجود فما علينا إلا أن نترك هذه التجربة الصامتة تعبر عن ذاتها بذاتها.

إن الهدف الذي سعى هوسرل أن يصل إليه من وراء العودة إلى هذه التجربة الصامتة والتي يسميها بالتجربة الأصلية هو هدف معرفي بالدرجة الأولى من خلال البحث عن أساس كل المعارف الخالصة الكامنة في هذه التجربة التي هي بمثابة مجال حيوي خالص يحمل المعرفة الحقيقية بماهيات الظواهر، أما بالنسبة إلى فينومينولوجيا ميرلوبونتي فعلى الرغم من أنها لا تخلو من اهتمامات معرفية إلا أن هدفها الرئيس من وراء البحث في خبرتنا الأصلية هو الوصول إلى ذلك المعنى الحقيقي لكيفية وجودنا في العالم ومعرفتنا بموضوعاته.

---

[1]- Edmund Husserl: Méditations Cartésiennes, Introduction à la Phénoménologie, trad. par Emanuel Levinas, Paris, 1953, p 33.

[2]-Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, Op.cit, 316.

أما بالنسبة إلى هيدغر فإنه بدوره حاول أن يصل إلى معنى الكينونة أو الوجود الحقيقي من خلال البحث في صمت الوجود الذي يحمل معنى مختلف عن ذلك الذي تعبر عنه الكلمات وهذا ما يجب أن يفهمه الدازين إذا أراد أن يفهم وجوده ويجب أن يكون له كما يقول هيدغر: "انفتاح حقيقي وثري على ذاته لكي ينفجر ذلك الصمت -المحروس فيسكت ما يقال ويتجلى الصمت- المحروس كنمط من كلام الدازين الذي يعطيه القدرة على الاستماع[1] أي الاستماع إلى الوجود الذي تناسته الميتافيزيقيا الغربية ونحن ملزمون بإعادة طرح السؤال عنه والبحث عن معناه الذي يكون في فينومينولوجيا ميرلوبونتي بحثا في اتصال الموجود بوجوده لأن الصمت هنا هو صمت الوجود المتجسد مع الآخرين والأشياء في العالم، وبالتالي فلغة الصمت التي يتحدث عنه ميرلوبونتي تختلف عن تلك التي نجدها عند هيدغر فهي: "لغة منفتحة على الأشياء وتتكلم من خلال أصوات الصمت وتحاول مواصلة النطق بكل ما يتعلق بوجود كل ما هو موجود[2] وهي لغة لا تقابل الكلام لأنها لا تنفصل عنه وأن الوجود الذي يعبر عنه الصمت ليس هو الوجود المطلق المنفصل عنا كما كان مع هيدغر بل هو الوجود اللحمة الذي هو انتشاب الجسد في الأشياء وفي العالم. ولكن رغم هذا الاختلاف في موقفهما من المعنى الذي يقدمه لنا صمت الوجود إلا أن بينهما قاسم مشترك ألا وهو تأكيدهما على العودة إلى اللغة الصامتة التي تسبق لغة الكلمات.

وبناء على ما سبق ذكره يتبين لنا أن التجربة الصامتة التي سعت فينومينولوجيا الكلام عند ميرلوبونتي إلى التعبير عنها هي تجربة الوجود الذي هو كما يقول

---

[1]- Martin Heidegger: L'être et Temps, édition Gallimard, Paris, 1974, p 211.
[2]- Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, Op.cit, p 168.

ميرلوبونتي: "الوجود الصامت الذي يعمل بذاته على أن يظهر معناه الخاص[1]. وهذا المعنى الخاص هو ما سعت الفينومينولوجيا المتعالية عند هورسل من خلال منهج الرد الفينومينولوجي أن تصل إليه وكذلك الأمر بالنسبة إلى الهيرمينوطيقا في فينومينولوجيا هيدغر دون أن يتمكن كل منهما من بلوغ هذا المعنى، لأن المعنى الحقيقي الكامن في التجربة الأصلية لا هو مثالي ولا هو منفصل عنا وإنما هو معنى "الوجود المتكلم فينا كتعبير للتجربة الصامتة عن ذاتها[2]. لأننا لا نعبر بالكلمات فقط وإنما بالصمت كذلك نعبر، وبالتالي فإن علاقة الصوت بالصمت ليست علاقة تناقض وإنما هي علاقة تداخل وتكامل وهنا يقول سارتر عن الصمت: "إن الصمت حتى ولو تحدد عن خلال علاقته بالكلمات مثل لحظة توقف الموسيقى إلا أنه يؤخذ معناه الخاص لأن الصمت هو لحظة من اللغة وهو اختفاء وراء اللغة يرفض التكلم لاحقا[3].

إن هذا التصور الجديد حول اللغة على أنها تعبر بالصمت مثلما تعبر بالصوت هو بمثابة نقد مباشر لفلسفات السيمنطيقا المعاصرة لأن الخطأ الذي ووقعت فيه هذه الفلسفات هو أنها: "أغلقت اللغة وكأنها لا تتحدث إلا عن ذاتها: مع أنها لا تحيى إلا بالصمت[4] لأن الصمت هو ما يوجد قبل الكلمات وأثناءها وبعدها وهو ما يوجد في الأشياء كذلك لأنها تخاطبنا بالصمت. فيحيلنا وجود الصمت إلى صمت الوجود وذلك لأن في "صمت الوعي الأصلي يتجلى لنا ليس فقط ما تقوله الكلمات ولكن أيضا ما تقوله الأشياء"[5] لأن الصمت ليس غياب الكلمات وإنما هو حضور الأشياء

---

[1]- Merleau-Ponty: L'œil et L'esprit, édition Gallimard, Paris, 1964, p 87.
[2]- Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, Op.cit, p 250.
[3]- Sartre: Que' est-ce que la littérature, Op.cit, p 30.
[4]- Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, Op.cit, 263.
[5]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p X.

والعالم. وهذه هي اللغة الحقيقية التي تعبر عن التجربة الصامتة التي هي تجربة الوجود مع الأشياء والآخرين في العالم.

لقد انطلق ميرلوبونتي من دعوة مؤسس الفينومينولوجيا إلى التعبير عن التجربة الصامتة لكنه اكتشف فيها ما لم يكتشفه هوسرل ذاته لأنه وجد فيها صمتا أصليا يحمل المعنى الحقيقي الذي لم ينتبه إلى أهميته حتى صاحب مقولة الكوجيتو. وهنا يميز ميرلوبونتي بين الكوجيتو الضمني Cogito Tacite والكوجيتو المتكلم أو اللغوي Cogito langagier، وهنا ينتقد ديكارت بقوله: "من الأهمية أن نطرح الكوجيتو الضمني الكوجيتو اللغوي، لأن من سذاجة ديكارت أن لا يرى أبدا كوجيتو ضمني تحت كوجيتو الدلالات"[1] ويمثل والكوجيتو الضمني الوعي في مرحلته الصامتة أو بالتحديد المعنى في خصوبته، فحتى ولو أن ديكارت أدرك أهمية هذا الوعي بما هو"أنا أفكر" إلا أنه لم ينتبه إلى ضرورة التعبير عنه، وهذا ما يحسب لصالح ميرلوبونتي لأنه على الرغم من الاهتمام الكبير الذي عرفه الكوجيتو من قبل أغلب الفلاسفة الوجوديين والفينومينولوجيين إلا أن أحدا لم ينتبه إلى علاقة الكوجيتو باللغة مع العلم أن الكوجيتو في حد ذاته مصاغ في كلمات.

### 4- الفن كأسلوب تعبيري:

من المعلوم أن المنظور الفنومينولوجي عند ميرلوبونتي يؤكد أن الكلمة ليست مجرد وسيلة بسيطة يستحوذ عليها الوعي في أثناء عملية التواصل والتخاطب، لأن اللغة تتميز بقدرتها على إبداع المعاني وهذا ما تجسده مقولة اللغة المؤسسة. ومن هذه الفكرة

---

[1]- Merleau-Ponty: Le Visible et L'invisible, Op.cit, 232.

بالتحديد ينطلق ميرلوبوتي في دراسة العلاقة بين اللغة والفن باعتبار أن الفن هو أسلوب تعبيري إبداعي حيث يتم وصف الظاهرتين، فكيف يكون الفن أسلوبا تعبيريا؟

تبين لنا أغلب مؤلفات ميرلوبونتي خصوصا منها "العين والفكر"و"نثر العالم" والمعنى واللامعنى "إن الفن هو عملية تعبيرية. بل هو يوقظ تلك القدرة الكامنة فينا على التعبير لذلك يسعى ميرلوبونتي إلى الكشف عن تلك اللغة الصامتة التي يلجأ إليها الفنان ويعمل على تجسيدها في أعماله وذلك من أجل معرفة طبيعتها وأسرارها وعلاقتها بالذات والعالم على حد سواء. وبالفعل فإن فنونا من قبيل فن الرسم لها قدرة كبيرة على اختراق عالم الصمت ومادامت فينومينولوجيا ميرلوبونتي تولي اهتماما كبيرا للصمت لما يمتاز به من بلاغة وقدرة على أداء المعنى فإن الارتباط بين اللغة والفن يزداد إلى درجة أن: "اللغة المؤسسة لا تؤدي دورا في العملية التعبيرية إلا كذلك الدور الذي تؤديه الألوان في الرسم"[1] وهنا يتجه ميرلوبونتي إلى وصف ظاهرة اللون متجاوزا التفسيرات الكلاسيكية للعمل الفني في ميدان الرسم فالاتجاه التجريبي يعطي الأولوية لإحساس الاتجاه العقلي فيؤكد على أولوية الوعي لذا فإن الرسام إما حسي تسود لوحاته الألوان وإما عقلي تغلب على أعماله الفكرة والتصميم فكيف يتجاوز ميرلوبونتي هذا التعارض؟

لا تخرج فلسفة الفن عند ميرلوبونتي عن الطابع العام لاتجاهه الفينومينولوجي الجديد لذلك فقد وجد في أعمال الرسامين المعاصرين من أمثال سيزان Cezane سندا قويا يدعم به دعوته إلى التعبير عن علاقتنا بالأشياء والآخرين والعالم وجعل هذه الموضوعات أكثر مرئية أو كما يقول: "لنعرف كيف تكون الأشياء أشياء والعالم

[1]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p 446.

عالما"[1] ومن أجل حل تلك المشكلة المعرفية التقليدية التي هي مشكلة علاقة الذات بالموضوع يعتمد ميرلوبونتي على لوحات سيزان ولأنها تعبر عن العلاقة الفعلية القائمة بين الذات والموضوع كما أنها تعمل على: "التوحيد بين الطبيعة والفن"[2] أي العودة إلى الأشياء ذاتها وإلى خبرتنا الإدراكي وهذا ما يفسر توجه ميرلوبونتي إلى وصف ظاهرة اللون وأن سر اهتمامه باللون راجع إلى أن: "العودة إلى اللون تجذبنا أقرب قليلا إلى قلب الأشياء"[3] فاللون ليس تمثلا ولا هو محاكاة بل هو ظاهرة مستقلة أو بالتحديد هو الشيء ذاته أو هو الجسر الرابط بين ذات الفنان وموضوع العالم الخارجي. وهكذا تقدم لنا فينومينولوجيا ميرلوبوتني تفسيرا جديدا للعمل الفني في ميدان الرسم مفاده أن الفنان لا يرجع إلى ذاته تاركا معطيات العالم المرئي ولا يذوب مقابل ذلك في الطبيعة جاعلا عمله الفني انعكاسا لها مما يجعل الصورة المرسومة صورة بالغة التعبير بلغة مكتملة المعنى.

تعد عملية التعبير في فن الرسم في نظر ميرلوبونتي من أهم أوجه ارتباط الفن باللغة ولا يمكن فهم موقف ميرلوبونتي من فن الرسم إلا بالعودة إلى فكرة الجسد الفينومينولوجي أو الجسد الخاص الذي هو موطن خبرة الوجود في العالم. ولكن ما هي العلاقة الفعلية الكامنة بين الرسم والجسد؟ يجيبنا ميرلوبونتي بقوله: "عندما يمنح الرسام جسده للعالم فإن الرسام يحول العالم إلى رسم ولكي نفهم هذه التحولات يجب علينا العودة إلى الجسد الفعال أو الحالي الذي ليس هو مجرد حيز في المكان أو حزمة من الوظائف وإنما هو تشابك بين الرؤية والحركة"[4] لأن الجسد الفينومينولوجي هو شيء

---

[1]- Merleau-Ponty: L'œil et L'esprit, Op.cit, p 69.
[2]- Merleau-Ponty: Sens et Non sens, Op.cit, p 22.
[3]- Merleau-Ponty: L'œil et L'esprit, Op.cit, p 67.
[4]- Merleau-Ponty: L'œil et L'esprit, Op.cit.p 16.

مثل الأشياء من جهة وهو مختلف عنها من جهة أخرى لأنه هو من يرى ويتحرك نحو ما يراه وإن رؤية الفنان ليست رؤية عادية مثل رؤية بقية الأشخاص لأن رؤية الفنان هي نتيجة تفاعل الجسد مع العالم لذلك يقول ميرلوبونتي عن عين الرسام إنها: "ترى العالم وترى ما ينقص هذا العالم لكي يجسد في لوحة"[1] لأن العين ليست مجرد آلة ناقلة لظواهر العالم وإنما هي تعمل على إكمال مواطن النقص فيه.

إن لغة التعبير الكامنة في فن الرسم هي تلك اللغة التي يكتسبها الفنان من خلال خبرة العلاقة بالعالم الواقعي لذلك يبين لنا ميربونتي أن "الرسام يحتاج لوقت طويل لكي يتعرف في لوحاته الأولى على الملامح التي ستكون عليها أعماله"[2] فرؤية الفنان هي أسلوبه الخاص في انجاز العمل الفني وهذا العمل هو تعبير عن العالم أو بالتحديد عن وجود جسد الفنان أمام جسد العالم أو كما يقول باسكال ديبوند Pascal Dupond أن الرسم دون الرؤية هو غير مكتمل لأن خبرة الرؤية هي التي توجه الرسام أثناء انجاز عمله الفني والرؤية الجيدة هي التي تقودها إلى الرسم الجيد[3] والفن عموما والرسم خصوصا هو استحضار العالم مثلما يعمل الكلام على التعبير عن موقف معين أو كما يقول ميرلوبونتي في "نثر العالم": "من الواضح أن المعنى اللغوي هو تماما مثل المعنى الموجود في الصورة[4] "فالخطوط والألوان هي أدوات تعبيرية تؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها الكلمات أو حتى الإيماءات والحركات الجسدية لأن فعل التصوير هو فعل من أفعال الجسد أو تعبير عن قصديه الجسد نحو العالم وعليه يمكننا أن نجمع ما بين الكلمة والصورة والجسد لأن: "الكلمات والصور تبقى غامضة مثل العمليات التي يقوم بها

---

[1]- Ibid. p 25.
[2]- Merleau-Ponty: Signes, Op.cit, p 52.
[3]- Pascal Dupond: Dictionnaire Merleau-Ponty, édition ellipses, Paris, 2008, p 205.
[4]- Merleau-Ponty: La Prose du Monde, Op.cit, p 65.

جسدي: الكلمات والخطوط والألوان التي تعبر هي تصدر عن ذاتي مثل حركاتي وهي ترتبط بما أقول مثلما ترتبط حركاتي بما أنجزه"[1]

ويتجلى لنا مما سبق ذكره أن فينومينولوجيا ميرلوبونتي تنظر إلى العمل الفني في إطار اللحمة الكائنة بين الذات والموضوع وبين المرئي واللامرئي بل وحتى بين المعنى واللامعنى وكذلك بين الصوت والصمت، وهو تفسير يختلف عن ذلك الذي قدمه هيدغر للعمل الفني الذي هو تجسيد لصفة الشيء لأن الشيء عنده هو مجموع الشكل والمادة وهنا يشبه بين الشيء والعمل الفني إذ يقول: "نحن نبحث عن حقيقة العمل الفني لكي نجد فيه المفهوم الحقيقي للفن حيث اتضح لنا أن بنية الشيء هي حقيقة العمل الفني"[2] أما بالنسبة إلى ميرلوبونتي فإن المعنى الحقيقي للعمل الفني وبالتالي للفن فيرتبط بالإدراك الحسي وبالتحديد بالجسد وهنا يقول: "إن الجسد يشبه العمل الفني وهو موطن الدلالات الحية"[3] كما يقول أيضا: "الكيف والضوء واللون والعمق هذه الصفات الموجودة أمامنا ليست كذلك إلا لأنها توقظ صدى في جسدنا وهو بدوره يستقبلها"[4] لأن الجسد هو موطن العمل الفني وكل أشكال التعبير عموما وهكذا تربط فينومينولوجيا ميرلوبونتي التعبير بالتجسد ولكي نفهم الرسام ورسمه يجب علينا العودة إلى التعبير الأولي أين يكون الجسد هو مركز الوجود[5].

إذا كان الرسم يسمح للفنان بالتعبير عن وجوده في العالم فإن فن الأدب والرواية على وجه الخصوص يحققان الوحدة بين المضمون الفكري والصورة اللغوية

---

[1]- Merleau-Ponty: Signes, Op.cit, p 94.
[2]- Heidegger Martin: Chemins qui ne mènent nulle part, édition Gallimard, Paris, 1962, p 37.
[3]- Merleau-Ponty: La phénoménologie de la perception, Op.cit. p 446.
[4]-Merleau-Ponty: L'œil et L'esprit, Op.cit, p 22
[5]- Pascal Dupond: Dictionnaire Merleau-Ponty, p 201.

التي يظهر عليها عمله الأدبي وهنا يقول ميرلوبونتي: "إن الرواية تعبر تماما مثلما تعبر الصورة"[1] لأن الرواية والصورة كأعمال فنية تحققان التواصل والتبليغ الذي تحققه الكلمات. لأن الإشارات الصامتة لا تقل أهمية عن الإشارات الناطقة وهذا ما يسميه ميرلوبونتي بأصوات الصمت Les voix du silence فالرسام أو الروائي يتواصل مع الآخرين من خلال عمله الفني ولغة الفنان هي لغة صامتة تدعو الجمهور إلى عالمه الذي أراد أن يخاطبهم من خلاله.

لقد اهتم ميرلوبونتي بالفيلم السينمائي على قدر اهتمامه بالرسم والرواية حيث يدرس الفيلم من جانبين أولهما الفيلم باعتباره صورة بصرية وثانيهما بما هو صورة سمعية، كذلك يميز بين الفيلم الصامت والفيلم الناطق: "وما نقوله عن الفيلم المرئي يمكن قوله عن الفيلم الصوتي وهو أنه في كلا الحالتين له قدرة تعبيرية"[2] وقد يبدو موقف ميرلوبونتي بسيطا إلا أنه يأخذ من الأهمية ما يجعله بالفعل جديرا بالاهتمام لأن التلازم القائم بين الصوت والصورة يحقق الطابع التعبيري الخاص بالفيلم وهذا ما نجده مثلا في الأفلام المدبلجة إلى العربية فإذا كان الممثل شيخا ويتكلم بصوت شاب أو كان نحيلا ويتكلم بصوت غليظ فإن هذا ما يؤثر على الطابع التعبيري للفيلم لأن لحظة ارتباط الصورة بالصوت هي المعنى ذاته وقيمة الحدث المعبر عنه لا تظهر إلا من خلال هذا الارتباط.

وإن للحظة الصمت في الفيلم السينمائي أهمية كبيرة: "لأن معنى الصمت يكون أكثر تأثيرا في الفيلم"[3] وخصوصا في أفلام الرعب لأن الصمت هنا يثير انتباه المتتبع

---

[1]- Merleau-Ponty: Signes, Op.cit, p 95.
[2]- Merleau-Ponty: Sens et Non sens, Op.cit, p 68.
[3]- Merleau-Ponty: Sens et Non sens, Op.cit. p 71.

للفيلم والتجربة الواقعية تثبت لنا ذلك، ولكن يبقى معنى الفيلم منتشرا بين الكلمة والصورة أو بين الصوت والصمت ليحقق الفيلم علاقة اللغة بالفن وتتنوع بالتالي أساليب التعبير في فينومنولوجيا ميرلوبونتي وهنا يبن لنا باسكال ديبوند Pascal Dupond في دراسته التي صدرت حديثا أن مقولة التعبير عند ميرلوبونتي تؤخذ معنى أنطولوجي وهو ما يسميه بـــ "أعجوبة التعبير" أو "سحر التعبير"[1] وحتى ولو كان أغلب الفلاسفة المعاصرين اهتموا بدراسة التعبير على اختلاف وجهات نظرهم إلا أن ما يميز ميرلوبونتي عنهم جميعا هو أنه اهتم بدراسة كل أشكال التعبير حيث اهتم بالجسد والإدراك والكلمة والصمت والفن.

[1]- Pascal Dupond: Dictionnaire Merleau-Ponty, p 82.

**خاتمة:**

يتبين لنا أن فينومينولوجيا ميرلوبونتي عملت على وصف سيرورة الكلام رافعة بذلك شعار العودة إلى الكلام بدل اللسان وإن الدعوة إلى هذه العودة تمثل في حد ذاتها انتصارا لفلسفة أرادت أن تبين لنا أن الكلام لا يقل أهمية عن اللسان، فيعمل الفينومينولوجي على استقصاء عفوية الكلمات مقابل نسقية العلامات. وإن وصف حالات التكلم هذه يدل على تمكن فينومينولوجيا ميرلوبونتي من سبر أغوار الكلام وبالتالي إيجاد روابط وجودية في كلام الذات جعلتها تضفي من خلال عفوية التكلم وانفتاح اللغة وإبداع المعاني مشروعية أكثر على الذات وكلامها.

لقد أدرك ميرلوبونتي قيمة وأهمية اللغة سواء أكانت لغة صوت أم لغة صمت، فأضحت الموضوع الرئيس في فلسفته المتأخرة، وكان من شأن ذلك أن قدم إسهاما كبيرا في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة التي أرهقتها التوجهات العلمية المتزمتة التي على الرغم من أهميتها في دراسة اللغة فإنها شوهت جوهر اللغة، إنها الذات الإنسانية.